

نصفحات القرآن

[64] (الْإِنِّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا * وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا) (الاسراء / 107 - 108) (فَالْأَلْفَيَّ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى) (طه / 70) (وَلَا يَعْزِلُ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ) (الحج / 54) (وَالرَّاسَخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ) (آل عمران / 7) إِنَّ الْآيَةَ الْآخِرَةَ تَلْقَى الْأَضْوَاءَ عَلَى الْعَلَاةِ الْوَتِيقَةُ بَيْنَ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ، وَتَصْرِّحُ بِأَنَّ الْأَوْعَى وَالْأَعْلَمُ هُوَ الْأَرْسَخُ فِي الْإِيمَانِ وَالتَّسْلِيمِ(1). إِنَّ هَذِهِ الْآيَاتُ تَشْهَدُ بِوُضُوحٍ أَنَّ الْمَعْرِفَةَ هِيَ إِحْدَى السَّبِيلِ الْمُوَدِّيَةِ إِلَى الْإِيمَانِ، وَالْإِيمَانُ الَّذِي يَنْبَغُ مِنْهَا سَيَكُونُ رَاسَخًا جَدًّا وَمَتَجَذِرًا إِلَى مَسْتَوًى بَحِثٍ نَقَرًا فِي قِصَّةِ السَّحَرَةِ فِي عَصْرِ فِرْعَوْنَ، أَنَّ إِيْمَانَهُمْ بِمُوسَى (عَلَيْهِ السَّلَامُ) كَانَ بِسَبَبِ مَعْرِفَتِهِمْ أَنَّ مَا جَاءَ بِهِ مُوسَى (عَلَيْهِ السَّلَامُ) لَمْ يَكُنْ سِحْرًا، فَمَا كَانَ مِنْ فِرْعَوْنَ إِلَّا أَنْ هَدَّاهُمْ بِشِدَّةٍ قَائِلًا لَهُمْ: أَتُؤْمِنُونَ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذِنَ لَكُمْ؟! (الطَّغَاةُ يَرِيدُونَ التَّحَكُّمَ حَتَّى يَعْقُولَ النَّاسُ وَإِيْمَانَهُمُ الْقَلْبِي وَفَهْمُهُمْ وَلَا يَتَصَرَّفُ أَحَدٌ بِأَيِّ شَيْءٍ إِلَّا بِإِذْنِهِمْ، وَمِنْ ضَمْنِ مَا جَاءَ مِنْ تَهْدِيدِ فِرْعَوْنَ لَهُمْ أَنَّهُ قَالَ: سَأَقْطَعُ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَأُمَّالِبْنَكُمْ فِي جَذْوَعِ النَّخْلِ، لَكِنْهُمْ كَانُوا بِدَرَجَةٍ مِنَ الصُّمُودِ بَحِثٍ كَانُوا يَقُولُونَ لَهُ: _____ 1 - مَا ذَكَرْنَاهُ حَقِيقَةً لَا تَنْكَرُ سِوَاءَ قُلْنَا بِأَنَّ كَلِمَةَ "الرَّاسَخُونَ" مَعْطُوفَةٌ عَلَى "إِيْمَانًا"، أَوْ قُلْنَا بِأَنَّهَا مُبْتَدَأٌ وَخَبَرُهَا الْجُمْلَةُ الْوَاحِدَةُ، لِأَنَّهُ عَلَى كُلِّ الْفُرْصَيْنِ، الضَّمِيرُ فِي "يَقُولُونَ" يَرْجِعُ إِلَى "الرَّاسَخُونَ فِي الْعِلْمِ" وَبِهِ تَتَضَّحُّ الْعَلَاةُ بَيْنَ الْإِيمَانِ وَالْعِلْمِ فِي الْآيَةِ.